

# خطوات عملية

# نحو التوبة

## بشارة

ما أروع تلك الصورة التي رسمها لنا رسول اللَّه -صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- حين قال: «للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ. فانفلتت منه. وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة. فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته. فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده. فأخذ بخطامها، ثمَّ قال من شدَّة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك. أخطأ من شدة الفرح» [رواه مسلم 2747] .

وها هي الملائكة الكرام الأتقياء الأطهار الَّذين شابهتهم في صفات الطُّهر والنَّقاء يفرحون بتوبة العبد إذا تاب ويشاركونه الفرحة حيث قال -تعالى-: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ [7] رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [8] وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [غافر: 7-9] .

يالها من فرحة وما أوسع فضل اللَّه عليك، ياربِّ ما أكرمك وأحلمك ستبدل سيِّئاتي إلى حسناتٍ {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الفرقان: 70 ] .

ربِّ إنِّي خجلت منك ومن نفسي تبت إليك، تبت إليك فتقبلني

# بسم اللَّه الرحمن الرحيم

نعم: نقولها ابتداء، نريدها خطوة عمليه نحو التَّوبة، فكم نسمع عن التوبة النَّصوح وكم ندعي إلي ذلك الباب المفتوح؟ ولكن!! آه من كلمة "أريد أن أتوب ولكن"!! ولكن ماذا؟ إنَّه ضعف الإرادة ووهم السَّعادة. ضعف الإرادة عن طاعة اللَّه -عزَّ وجلَّ- ورسوله -صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- وعمل الخير والتَّمني والتَّسويف. ووهم السَّعادة بأنَّها لا تكون إلا في حياة الانفلات والتَّحلُّل من كلِّ قيدٍ وتكليفٍ. أردنا التَّحرُّر من (القيود) وقعدنا -وكم طال بنا القعود- وظننَّا -ويا لسوء ما ظننَّا- في اللَّه الواحد المعبود! عندما نردد وتأكيدًا لتقصيرنا {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة: 218] ونسينا أو تناسينا وغفلنا أو تغافلنا عن ذلك التَّحذير{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: 28]، {وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [آل عمران: 11]، والآن نطير بجناحين: جناحي الرَّجاء والخوف وندع عنا كلمة سوف وسوف!! ولنبادر ولنحاذر، ولنركب سفينة النَّجاة حذر أن تغرق في بحر الظُّلمات ظلمات المعاصي وشؤم السَّيِّئات!! فالتَّوبة التَّوبة والتَّوبة التَّوبة قبل أن يصعب الخلاص ولا ينفع النَّدم فلات حين مندم!!فلات حين مندم!! قبل أن يصعب الخلاص ولا ينفع النَّدم فلات حين مندم .

فياربِّ تبنا إليك، واستغفرناك واستودعناك سرنا، فلا تكشف سترنا. اعترفنا بتقصيرنا وندمنا على ما فرطنا في جنبك عندما سمعنا نداءك الخالد ينادينا ويأخذ بأيدينا {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزُّمر: 53] إنَّها الرَّحمة الواسعة الَّتي تسع كلّ معصيةٍ كائنةٍ ما كانت وإنَّها الدَّعوة للتوبة. دعوة العصاة المسرفين الشَّاردين المبعدين في تيه الضَّلال. دعوتهم إلى الأمل والرَّجاء والثِّقة بعفو اللَّه [ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ [54] وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}[الزُّمر: 55- 54] .

والتوبة النصوح ينبغي أن تتوفر فيها شروط بينها العلماء كما يلي :

أولاً: أن يكون صاحبها مخلصاً في توبته لا يريد بها إلا وجه اللَّه، فليس تائباً من يترك المعاصي خوفاً من رجال الشرطة أو خشية الفضيحة، أو يترك الخمر خوفاً على نفسه وحفاظاً لصحته، أو يبتعد عن الزنا خوفاً من طاعون العصر (الإيدز) .

ثانياً: أن يكون صادقاً في توبته، فلا يقل تبت بلسانه وقلبه متعلق بالمعصية؛ فتلك توبة الكذابين .

ثالثاً: أن يترك المعصية في الحال .

رابعاً: أن يعزم على أن لا يعود .

خامساً: أن يندم على وقوعه في المخالفة، وإذا كانت المعصية متعلقة بحقوق الآدميين فإنها تحتاج لشرط إضافي، وهو .

سادساً: رد الحقوق إلى أصحابها أو التحلل وطلب العفو منهم .

ومما يعين التائب على الثبات ما يلي :

اولا : الابتعاد عن شركاء الجرائم وأصدقاء الغفلة .

ثانيا : الاجتهاد في تغيير بيئة المعصية؛ لأن كل ما فيها يذكر بالمعاصي .

ثالثا : الاجتهاد في البحث عن رفاق يذكرونه باللَّه ويعينونه على الطاعات .

رابعا : الإكثار من الحسنات الماحية (( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [هود:114] .

وكثرة الاستغفار مطلوبة ومفيدة جداً، وذاك هدى النبي صلى اللَّه عليه وسلم الذي قال عنه ابن عمر رضي اللَّه عنه: (كن نعد للنبي صلى اللَّه عليه وسلم في المجلس الواحد استغفر اللَّه وأتوب إليه أكثر من مائة مرة)، وقال عليه الصلاة والسلام لحذيفة (... وأين أنت من الاستغفار يا حذيفة؟ وإني لأستغفر اللَّه في اليوم أكثر من سبعين مرة)، وقد كان السلف يستغفرون اللَّه كثيراً، ويقصدون الأوقات الفاضلة مثل ثلث الليل الآخر، كما قال نبي اللَّه يعقوب لأبنائه: (سوف أستغفر لكم ربي...)، قال ابن مسعود : ادخر استغفاره لهم إلى وقت السحر .